التحالف الثلاثي

بين الفقر والجهل والمرض

الفقر والمرض والجهل شركة تظل قوية ما دامت متضامنة. لكنها لا تلبث أن تضعف وتتبدد إذا زال أحد أركانها الثلاثة ، لأن معالجة الفقر تعين على معالجة الجهل، كما أن مكافحة المرض تؤدى غالبا الى تخفيف وطأة الفقر .

ومع أن لهذه النكبات الثلاث نصيبا كبيرا فى الشقاء الإنسانى ، فإن أكبرها هو الفقر . ذلك أن مجتمعنا اقتصادى فى أساسه وأقيسته وسائر اعتباراته. فالفقير يعجز عن شراء الأطعمة التى تقوم عليها صحته وصحة عائلته . وقد أثبت الدكتور على حسن أن مسألة التغذية فى مصر هى قبل كل شىء مسألة اقتصادية . لأن الفقراء يعجزون عن شراء حاجاتهم من الأطعمة . وعندنا فى مصر أمراض — مثل البلاجرا — هى نتيجة النقص الغذائى. إذ أن المريض يعجزه فقره عن شراء الغذاء الكامل، وعن الإقامة فى مسكن صحى، أو عن العناية الصحية بالمسكن. وقل مثل هذا فى حرمانه من الملابس المدفئة وفى عجزه عن شراء الدواء .

فالأمراض تعود — الى حد كبير — الى الفقر . سواء أكان هذا لقلة الأغذية أم لقلة النظافة . فان حمى التيفوس مثلا تنتقل الى الانسان عن طريق القمل . وهى لذلك تتفشى فى البيئات الفقيرة حيث يقل الاستحمام وغسل الملابس . وقد انقرضت هذه الحمى من الأقطار المتمدنة حيث تستطيع العائلات شراء الصابون وتبديل الملابس . ولما كان قوام التغذية هو المواد البروتينية الحيوانية فان الفقر يؤدى الى حرمان الفقراء من هذه المواد التى هى أغلى الأغذية ثمنا . وهذا العجز عن شراء المواد البروتينية كاللبن واللحم والجبن يحدث ضعفا فى الأجسام يجعلها عرضة لأمراض التدرن والبلاجرا وغيرهما .

والفقر هو أيضا أعظم الأسباب لتفشى الجهل . لأن التعليم — مدة المدرسة و بعد المدرسة — يحتاج إلى تكاليف أقلها أنه يجب على الوالد أن يقوت إبنه أو بنته دون أن يغريه الفقر باستخدامهما والتكسب بمجهودهما . ونحن نرى أن كثيرا من الآباء يستخدمون أولادهم من الجنسين فى البيوت والمصانع و يتهربون من المدرسة الإلزامية لكى يربحوا آخر الشهر ٢٠ أو ٣٠ قرشا هى أجرة الصبى أو البنت لخدمتهما فى البيت. ولكن الجهل لا تقشعه ثلاث سنوات أو أربع فى مدرسة إلزامية و إنما يحتاج إلى مواصلة الاطلاع بالكتاب والصحيفة وسائر الوسائل للتثقيف . والفقير يعجز عن شراء هذه الوسائل وهو لذلك ينسى ما تعلمه فى صباه .

فمن هـذا الذى ذكرنا . مدرك أن الفقر يؤدى إلى المرض و إلى الجهل . ولكن كذلك المرض يؤدى إلى الفقر والجهل . وكذلك الجهل يؤدى إلى الفقر والمرض . فهنا تضامن وتداخل . ولكن الفقر هو العامل الأكبر للشقاء .

فان أعظم ما يصاب به العامل الكاسب هو المرض الذى يعوقه عن أداء عمله ويحرمه من كسبه . وقد كان المرض أعظم الأسباب للتعطل بين العمال قبل ثلاثين سـنة إذ كان فى رأس القائمة . وأكبر الظن أنه ليس كذلك الآن لأن التطور الصناعى من حيث الاتجاه المتزايد نحو الآلة قد أوجد أسبابا أخرى خطيرة للتعطل . على أننا فى مصر نستطيع أن نقرر مع اليقين أن المرض هو أعظم الأسباب للتعطل . لأن الآلات لم تتفش بيننا الى الحد الذى يجعلنا نعزو اليها السبب الأكبر لتعطل العمال. والعامل المتعطل هو العامل الفقير . وهو أيضا الجاهل الذى يعجز عن تعليم نفسه أو أولاده و يكاد يكون جميع المتكففين فى بلادنا مرضى أو هم يدعون المرض لأنه عندهم السبب " الرسمى " للتكفف .

وكذلك الجهل يؤدى إلى الفقر والى المرض . فان المعرفة قوة . والعامل المـاهر الذى تعلم يمتاز على العامل الجاهل . الأول هو " العامل " الذى يحترف حرفة معينة . والثانى هو " الفاعل " الذى يتسكع فى الحرف و يلبى أى طلب رخيص . ثم هذا الجهل نفسه نرى أثره السيىء بل القاتل فى الأمهات من الطبقات الدنيا . فان وفيات الأطفال هنا ليس لهـا نظير حتى فى الهند . ومرجع ذلك إلى الجهل والفقر معا . وعندنا أمهات يمضغن الطعام ثم يخرجنه من أفواههن و يطعمن به الطفل . وعندنا أمهات يتركن الذباب حول الطفل ينقـل اليه الرمد والنزلات المعوية . . وقد تفشى بيننا العمى باعظم مما تفشى فى الهند أيضا لهذا السبب. وصحيح أن الفقر يؤدى إلى قـلة النظافة فى البيت وإلى كثرة الحشرات والذباب ولكن فى كثير من الحالات نجد عادات متوارثة تؤدى إلى تفشى القذارة التى يغشاها الذباب وسائر الحشرات .

فنحن هنا أزاء " حلقة مفرغة " من الفقر والمرض والجهل . وكل من هـذه النكبات تؤدى إلى الأخريين . ولا يمكن أن نحمل على واحدة منها إلا إذا حملنا على الثـانية والثالثة . وصحيح — كما قلنا — أن الفقر هو الأساس . لأننا نلاحظ أن الثرى الجاهل يعـلم أولاده إذا لم يستطع تعليم نفسه . ولكن الجاهل يعجز عن ذلك. وكذلك الثرى يعالج نفسه أو يعالج أعضاء عائلته إذا مرضوا . ولكن الفقير يعجز عن ذلك .